الصحافة الاقتصادية الإسلامية...الواقع والآفاق

د/ منيـر طـبـي ـ جامعة تبسة ـ

ملخص

لا شك أن الصحافة إحدى وسائل الإعلام والاتصال المهمة في حياتنا، وكل يوم يمر عليها تزداد فيه أهميتها وتعلو فيه مكانتها، ولقد تصور البعض أن ظهور وسائل إعلامية واتصالية جديدة بعد الصحافة سيفقدها قيمتها ويصرف الناس عنها، ولكن لم يحدث ذلك، وإن كنا نعترف بأن الراديو والتلفزيون والإنترنت اليوم لهم جماهيرية لا بأس بها، إلا أن جمهور الصحف يزداد يوما بعد يوم، ولقد أثبتت التجارب والأيام أنه من الصعب الاستغناء كلية عن ثقافة الكلمة المطبوعة، لما لها من خصائص وسمات لا تتوفر لغيرها من وسائل الإعلام الأخرى، وليس هنا مجال لذكرها أو حصرها. ولما كان الأمر كذلك، احتلت الصحافة في المجتمعات الإسلامية، مكانة كبيرة وأهمية عظيمة، لما لها من دور هام وتأثير هائل في تصحيح المفاهيم الخاطئة وغرس القيم النبيلة وتصويب الصورة المشوهة، ومخاطبة العقل والوجدان، لذا فقد اهتم المسلمون بشكل عام، بالصحافة في وقت مبكر وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر.

Abstract

There is no doubt that the press is one of the media and communication task in our lives, and every day that goes by increases the importance and above the position, and I have some perception that the emergence of media, connectivity and new after the press losses associated value and distract people about, but that does not happen, although we recognize that the radio and television and the Internet today have a mass not too bad, but that the public newspapers is increasing day after day, and I've experiments proved and days it is difficult to dispense with the College of the culture of the printed word, because of their characteristics and attributes are not available to other media, not here be mentioned.

So, occupied the press in Islamic societies, great stature and great importance, because of its important role tremendous effect in correcting misconceptions and instilling noble values and to correct the distorted image, and to address the mind and conscience, therefore, Muslims are generally interested, the press at a time early since the early nineteenth century.

الصحافة الإسلامية وإشكالية المصطلح:

يبين عزي عبد الرحمن أنَّ "مفهوم الصحافة الإسلامية حديثًا قد اتصل إمَّا بالصحافة المتخصصة في القضايا الدينية أو صحافة الحركات السياسية ذات الصلة، وبناء عليه يمكن اعتبار الصحافة الإسلامية هي تلك التي تتخذ من الإسلام – تصريحًا – المرجعَ في التعامل مع الأحداث أيًّا كانت، وهي تبدو في هذه الحالة صحافةً متخصصة بالمقارنة مع الصحافة الأخرى عامة، التي تستند إلى مرجعيات متعددة في التعامل مع المجتمع ذاته.(1)

ويعرفها مصطفى الدميري بأنها "مطبوعات دورية تصدر في ثوب جميل بفنون التحرير الصحفي المختلفة في ضوء الإسلام.(2)

أمَّا محمد منصور محمود هيبة، فيجملها في "الصحافة التي تعالج مختلف قضايا الحياة وأحداثها من منظور إسلامي؛ استنادًا إلى القرآن الكريم، وصحيح سنة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم- وما ارتضته الأمة من مصادر تشريعية في إطارها، وتقدم هذه القضايا والأحداث للجماهير بلغة مناسبة، واستخدام الفنون الصحفية الملائمة، والإفادة من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة، ويتولى عرضَ هذه القضايا مُحرِّرون وكُتَّاب مسلمون على معرفة عميقة بالإسلام وحقائقه، بما يخدم الأهداف والمثل والقيم الإسلامية، ويمثل ترجمة وقيادة لواقع المجتمع الذي تنشر فيه.(3)

بينما نجد سامي الكومي يذهب إلى أن الصحافة الإسلامية هي: "تزويد جماهير القراء بصفة خاصة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله – تعالى- وسنة نبيه – صلَّى الله عليه وسلَّم- بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبشكل منفصل أو مرتبط بأمور الحياة، من خلال صحيفة دينية متخصصة، أو موضوعات دينية متخصصة في صحيفة عامة يُحرِّرها كاتب لديه معرفة متعمِّقة وواسعة في الموضوع الذي يتناوله، يُمكنه من أن يبصر الناس بشؤون عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، ويعمل على تكوين رأي عام صائب، يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثَّر بها، ومن ثم فإن هناك ثلاثة عناصر تشترك في مفهوم الصحافة الإسلامية وهي: الكاتب، والصحيفة، والموضوع.(4)

كما يُميز بعض الباحثين بين "الصحافة الإسلامية"، و"الصحافة ذات الاتجاه الإسلامي"؛ إذ يعرف هذه الأخيرة محمد منصور محمود هيبة بأنَّها الصحافة التي

"تُعنى بتوصيل الآراء والأفكار والتصوُّرات والرؤى للأحداث والقضايا والمشكلات المجتمعية المثارة، في إطار الالتزام بالعقيدة الإسلامية، وما توجبه من معالجات خاصة، بغرض خلق رأي عام واعٍ ومؤيد، ومجابهة بعض الرؤى والتصورات التي تتضمَّن إساءةً إلى الإسلام أو تشويهها للفكرة الإسلامية".[5]

من خلال التعاريف السابقة يمكن القول بأن:

"" الصحافة الإسلامية هي تلك الصحافة التي تتخذ من الإسلام مرجعية لها في المعالجة الإعلامية الصحفية للأحداث""

لماذا الإعلام الإسلامي؟

تستند المطالبة بأسلمة الإعلام وصياغته صياغةً إسلاميّةً إلى مبررات ثلاثة هي:[6]

1- **المبرّر المنطقيّ:** لقد جاء الإسلام ليكون منهجًا شاملاً للحياة كلّها بجميع جوانبها ومجالاتها، وقد رسم الإسلام للإنسان معالمَ لنظمه الاجتماعية المختلفة؛ لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسة لوجوده، وهي استخلاف الله له في الأرض لعمارة الكون وفق منهج الله وتحقيق عبادته وحده.

وارتباط المسلم بإسلامه ليس ارتباطاً عاطفيًّا روحيًّا فحسب؛ بل هو – إلى جانب ذلك – ارتباط واقعيّ علميّ من خلال تطبيق شرائع الإسلام وهديه وتعاليمه السامية وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الإسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية.

وعندما ضعف التزام المسلمين بمبادئ دينهم، وتكالبت عليهم القوى الاستعمارية التي استهدفت خلخلة الصور الشمولي للإسلام وتطبيقه في حياتهم، تحوّل ارتباط معظم المسلمين بالإسلام في العصر الحاضر إلى مجرد ارتباط عاطفيّ محدود، يكتفي فيه المسلم بإقامة شعائره التعبديّة، وتزكية نفسه بالرياضات الروحية والأخلاقية الفردية. وقد نتج عن هذا المفهوم المغلوط لحقيقة الالتزام الإسلامي أن حفلت حياة المسلمين بصور الازدواجية والتناقض بين الارتباط العاطفي بالإسلام في ميدان العبادة والأخلاق الفردية، وبين الارتباط العملي الواقعيّ بالمذاهب المناقضة للإسلام في ميدان النظم والتشريعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إنَّ حياة المسلمين المعاصرة لن تتحقق لها الصبغة الإسلامية إلاّ عندما ينسجم ارتباطها العاطفي بالإسلام في الجانب العقَدي والروحي والفردي مع ارتباطها العملي والواقعي بالإسلام في الجانب التشريعي والتنظيمي. ومن هنا

تكتسب الدعوة إلى صياغة المعارف والنظم في حياة المسلمين صياغة إسلامية أهمية بالغة، بل إن تحقيق هذا الهدف يعتبر التحدي الحقيقي الذي ينبغي على الأمة الإسلامية أن توجهه في وقتها الراهن.

ويعتبر الإعلام فرعًا مهما من فروع المعرفة العلمية والتطبيقية التي تحتاج إلى العناية بتأصيل مفاهيمها ومناهجها وتهذيب أساليب وطرق ممارستها الواقعية وفقًا لهدي الإسلام وتوجيهاته. وتتعاظم أهمية صياغة النظام الإعلامي: فلسفة وغاية ومنهجا وممارسة، صياغة إسلامية في ضوء إدراكنا لأهمية الإعلام في حياة المجتمعات، وخطورة ما يقوم به في التأثير على الأفراد والجماعات سلبًا كان هذا التأثير أو إيجابًا.

إن المبرر المنطقي للمطالبة بصياغة الإعلام صياغة إسلامية، يؤكد على أن هذه الصياغة نتيجة منطقية لشمول المنهج الإسلامي وتكامله.

2- **المبرّر الواقعي:** يواجه المسلمون اليوم في مختلف أقطارهم ومواطنهم غزوا فكريا وثقافيا وحضاريّا رهيبا. ولم يَعد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصورا على الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة. لقد انتهى عصر الغزو الاستعماري الاستشراقي المباشر. إن الغزو الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية يستخدم وسائل جديدة، وأساليب جديدة. إن الرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة، بل إلى العقول المثقفة، عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي، أو الاقتصادي الذي تكتبه الصحيفة، والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة. والرسالة الغازية تعبر إلى العقول المثقفة عن طريق الفيلم التلفازي المدهش، وعن طريق شريط الفيديو، وعن طريق البرنامج الإذاعي المشوق. والرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة عن طريق فيلم الكرتون المتقن. والرسالةُ الغازية تعبر إلى العقول المثقفة والأجيال الصاعدة عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم.

ولقد أعجبتني كلمة معبرة لأحد المثقفين يقول فيها: "إن الغزو الثقافي الخَطِر اليوم لم يعد يأخذ صورة مبشّر في كنيسة يُقنع "المحليّين الهَمَج" باعتناق "ديانة متحضرة" وإنْ كانت النشاطات التبشيرية في بعض أنحاء العالم الثالث لا تزال مصدر تهديد ثقافي لا يُستهان به، والغزو الثقافي الخَطير اليوم لم َعد يتخذ شكل مؤامرة استعمارية تستهدف تشكيك شعب ما في تاريخه وأخلاقه وديانته، وإن كان الحديث لا ينقطع عن مؤامرات كهذه، حقيقية أو وهمية. إن أخطر ما في الغزو الثقافي المعاصر أنه أصبح ذا دافع ذاتي تلقائي، يتم دون مجهود من الجهات الغازية، ويتم دون أن يدرك ضحية الغزو أنه معرض لأي خطر، فيُقدِم،

في حماسة وبلاهة، لا على قبول الغزو فحسب؛ بل إلى اعتناقه واحتضانه وهنا مكمن الخطر".

إن هذا الغزو الحضاري الرهيب يعمل على زعزعة مبادئ الإسلام وقيمه وهدم أخلاقياته ومُثُله في نفوس أبناء المسلمين لينشئوا في غربة عن دينهم وحضارتهم وتراثهم، ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية ونمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات ومفاسد وأوبئة. ولقد وصل هذا الغزو إلى منازلنا ولم يعد أمامنا مفرٌ من مواجهته، المواجهة الصحيحة التي لا تكتفي بالتنديد والصراخ والدعاء بالويل والثبور، بل بتطوير إستراتيجية مُحكَمة تعتمد على هدفين:

- الأول: توجيه الإعلام في الدول الإسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قيم الإسلام ومبادئه، وتوفير الجو الملائم والدعم المناسب لصنع البدائل الإسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدّمه الغرب.
- والثاني: تنقية الإعلام – إلى جانب التعليم – من المؤثـّرات الغربية العلمانية والإلحادية، وتفنيد ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من مفاسد وانحرافات وبيانُ عوارها.

وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكاملة المتكافئة لن تتحقق إلا عندما تتبلْور في أذهان المسلمين الصورة الحقيقية للإعلام الإسلامي، وتتوالى معطياته الواقعية وثمراته العملية في وقاعهم المعاصر؛ إذ لا يمكن أن يهزم الباطل الزائف إلا الحق الأصيل: ﴿بَلْ نَقذفُ بالحَقِّ على الباطِلِ فَيَدْمَغُه فإذا هُوَ زاهِقٌ﴾ (الأنبياء:18).

3- **المبرر الإنساني:** وسائل الإعلام، لسان هذا العصر، وقد أدرك أصحاب الديانات والمذاهب والأفكار الوضعية أهمية استغلال هذه الوسائل في سبيل إيصال أفكارهم وعقائدهم ومذاهبهم إلى الناس، وكان النصارى الصليبيون أكثر الناس إدراكا لهذه الأهمية، وأسبقهم إلى استخدامها في مجال التنصير.

وفي الوقت الذي ينشط فيه أصحاب الديانات المحرفة والمذاهب الفاسدة لاستغلال وسائل الإعلام لخدمة أغراضهم، نجد المسلمين غائبين عن الساحة الإعلامية إلا بعض جهود محدودة لا أثر لها.

والبشرية اليوم قد سئمت من الدين المحرف، وانصرفت عن المذهب الفاسد، وهي تعيش ضياعا وقلقا واضطرابا. وقد أثقل كاهل الإنسانية في وقتها الراهن كابوس الإلحاد والعلمانية، والفساد الخلقي، والظلم والاستبداد السياسي، والاستغلال الاقتصادي، والتفكك الاجتماعي، وتعالت الصيحات تبحث عن مصدر للأمان والعدالة والحياة الكريمة، فأين سيجدون كل ذلك إلا في الإسلام؟!!

إن البشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام أكثر من أيّ وقت مضى والمسلمون مطالَبون –وفقا للتوجيه الإسلامي بمخاطبة الناس بلغتهم ووسائلهم –بأن يستخدموا وسائل الاتصال والإعلام في سبيل الدعوة إلى الإسلام، وتوضيح صورته الناصعة، وإبراز محاسنه وثمراته للناس في كل مكان. إن تبليغ رسالة الإسلام العالمية، وإيصال دعوته إلى البشرية كلها مبرر إنساني عظيم للدعوة إلى صياغة الإعلام صياغة إسلامية حتى يمكن أن يؤدي هذا الإعلام دوره في الحياة الإنسانية.

مرتكزات العمل في الصحافة الإسلامية:

إذا كانت الصحافة هي مهنة البحث عن المتاعب، فإن الصحافة الإسلامية هي مهنة البحث عن الحقائق. وحقل الصحافة الإسلامية هو الإسلام والصحفي داعية إلى الله تبارك وتعالى يجاهد بقلمه وقلبه ولا يوجد حتى اليوم على مستوى العالم الإسلامي كله من إيجاد العمل الصحفي الإسلامي وفقا لمناهجه العلمية، بالرغم من أن بعض الجامعات قد أنشأت فروعا متخصصة في الإعلام الديني. وشروط الصحفي الإسلامي لا شك أنها نفس شروط الداعية الإسلامي مضافا إليها معرفته بفنون الصحافة من تحرير وإخراج وترجمة، وقد بدت تباشير إعداد جيل من هؤلاء الصحفيين بنسب متفاوتة ــ إلا أنه يمكن القول أن الأقسام المتخصصة بالجامعات لم تكن وحدها المسئولة عن إعداد هذا الجيل، إنما انخراطه في هذه النوعية من العمل هي التي هيأته للسير قدما في هذه الدروب.

وتحتاج الصحافة الإسلامية إلى وفرة من الأخبار الإسلامية، لا شك أن المؤسسات الدينية قادرة على تزويد وسائل الإعلام بهذه النوعية الإخبارية إذا ما توافر لدى هذه المؤسسات بعض العاملين القادرين على إعداد هذه الأخبار، فنحن نرى أن إدارات العلاقات العامة مازالت تتكتم أخبار اللقاءات وما دار من مباحثات بين الوفود الإسلامية الزائرة وبين المسئول في هذه المؤسسات. وتتحرك من منطلق الدعاية للوزير أو المسئولون المختص فحسب وتهمل ماعدا ذلك. وقليل من الصحف من يرسل احد محرريها للبحث عن هذه الأخبار، فإذا انتقلنا إلى فن الحديث الصحفي لوجدنا وفرة في هذا الجانب. إذ تحمل لنا الصحف والمجلات الإسلامية العديد من الأحاديث والحوارات مع المسئولين عن الدعوة الإسلامية في الداخل أو الخارج على حد سواء.(7)

وما زالت الصحف والمجلات الإسلامية تعتمد اعتمادا مباشرا في تحريرها على المقالات، حتى يمكن القول أن الصحافة الإسلامية هي صحافة المقال في الدرجة الأولي. وقد ساهمت الصحافة الإسلامية في خلق جيل من الكتاب المسلمين ولا شك أن الإعلام الديني يحتاج إلى وكالة أنباء إسلامية. ونقترح أن

يكون جميع رؤساء المراكز الإسلامية المنتشرة في كل أنحاء العالم مندوبين لهذه الوكالة الصحفية ويضاف إليهم جميع العاملين في إدارات العلاقات العامة بالهيئات الإسلامية والدينية. حتى يمكن الارتكاز على قاعدة إعلامية توفر الخبر الإسلامي الصحيح.أما بالنسبة للتحقيقات الصحفية فقد نجحت بعض المجلات والصحف الإسلامية في تغطية هذه الناحية، ولكن يعوزها الخوض في مناقشة قضايا إسلامية هامة، وتقوم الصحف والمجلات الإسلامية بعمل استطلاعات صحفية عن دولة إسلامية، ولكن الغالب على هذه الاستطلاعات هو إبراز أهم معالم هذه الدولة بصفة عامة دون التركيز على النشاطات الدعوية والإسلامية.(8)

إن الصحافة الإسلامية تحتاج إلى محررين يخلصون المقالات من الأسلوب الوعظي المباشر، ويجيدون تحرير مقدمات الموضوعات التي تهم القراء، وعرضها بأسلوب عصري حديث، فإذا تمكنا من تطوير أسلوب تحرير هذه المواد لاستطعنا أن ننفذ إلى عقل القارئ وقلبه في وقت واحد.

الدور الحضاري للصحافة الإسلامية:

يمكننا أن نصف الصحافة الإسلامية بأنها ظاهرة في تاريخ الصحافة العربية، إذ لا يخلو قطر من الأقطار العربية من وجود صحف تنتمي إلى الفكر الإسلامي، وتستند إلى العقيدة الإسلامية في توجهها وفلسفتها وتجعل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مرجعيتها العليا، ترتكز عليهما، وتنطلق منهما، وتعالج كافة القضايا الحياتية من منظورهما، أو بأسلوب لا يتعارض ولا يتصادم مع الأصول والقواعد التي أقرتها شريعة الإسلام السمحة.(9)

ولقد ظهرت في المنطقة العربية تيارات فكرية وثقافية وأحزاب سياسية وجمعيات أهلية، وكان لكل تيار صحافته التي تعبر عن حاله وتنطق بلسانه، ومن ثم لابد للباحثين في مجال الصحافة الإسلامية من القيام بإجراء دراسات علمية حول الدوافع التي أدت إلى ظهور الصحافة الإسلامية في الدول العربية والإسلامية من حيث العوامل التي أدت إلى ظهورها والدوافع التي ساعدت في نشأتها ودورها في إحياء حركة المد الإسلامي وحماية المجتمع من حالات السقوط والتردي والحفاظ على القيم والمثل من الذوبان أو الضياع، كما يمكن لهذه الدراسات أن تتناول المشكلات التي واجهت الصحافة الإسلامية بصفة عامة والمشكلات التي واجهت صحف الحركات الإسلامية بصفة خاصة على اعتبار أن هذا اللون من الصحافة الإسلامية، كانت لها خصوصيتها وامتدادها واستمرارها فترة زمنية قاربت ربع قرن، حيث إن صحف التيارات والحركات الإسلامية بدأت بداية حقيقية في عام 1933 وتوقفت بصورة ما، عام 1954،

واستطاعت تلك الحركات أن تصدر العديد من الصحف والمجلات ما بين صحيفة يومية إلى صحف أسبوعية ومجلات نصف شهرية وشهرية وصل عددها إلى اثنتي عشرة صحيفة ومجلة.[(10)]

ولقد أدت الصحافة الإسلامية أدوارا مهمة في حياتنا المعاصرة، فقد ظهرت في وقت لم يكن يمتلك المسلمون فيها وسيلة إعلامية جماهيرية غيرها، فاستطاعوا من خلال الصحافة أن يدافعوا عن قضاياهم ويطالبوا بحقوقهم وأن ينشروا الفكر الإسلامي بين أفراد المجتمع وأن يردوا على الشبهات التي تثار حول الإسلام والمسلمين وأن يفندوا من خلال الصحافة كل الأكاذيب التي تروج حول الدين الإسلامي وشريعته الغراء. واستطاعت الصحافة الإسلامية أن تكون حائط صد ضد الكثير من المذاهب والأفكار الهدامة كالقديانية والبهائية والماسونية وغيرها، ولقد كانت الصحافة الإسلامية ومازالت أحد الروافد الأساسية في تزويد الجماهير المسلمة بالثقافة والمعرفة الإسلامية التي عن طريقها يستطيع القارئ المسلم أن يتعرف على أخبار وأحوال العالم الإسلامي، ومعرفة أحكام الإسلام المتعلقة بالحلال والحرام من خلال نشر قضايا الأحكام والفتاوى الشرعية التي تجيب عن تساؤلات القراء وتتعرض لحل مشاكلهم من وجهة النظر الإسلامية.[(11)]

ولا شك أن الوقوف على العوامل والأسباب التي وقفت وراء صدور الصحافة الإسلامية يدفع القائمين بالاتصال في هذا الميدان الآن إلى محاولة الاستفادة من التجارب السابقة للاستعانة بها في المستقبل، فيقوم المسئولون عن الصحافة الإسلامية اليوم أو من يسعى إلى إصدار صحيفة إسلامية في الأقطار العربية والإسلامية أو في غيرها من الأقطار بالوقوف على الأسباب والدوافع الإيجابية التي أدت وساعدت على صدور الصحافة الإسلامية ويعمل على الإفادة منها ومحاولة تجويدها وتطويرها وتحسينها وتنميتها، أما العوامل والأسباب السلبية، فيسعى إلى تجنبها والحذر منها واستبعادها، وبذلك تكون التجارب السابقة لصدور الصحف الإسلامية زادًا في المجال الصحفي الإسلامي تستفيد منه الأجيال الحالية واللاحقة. وسوف تكتسب هذه الدراسات أهمية كذلك من حجم الدور الذي أدته الصحف الإسلامية في تاريخنا الحديث من الوقوف في وجه الاحتلال البريطاني الذي جثم على صدر مصر مثلا منذ عام 1882م فظهرت الصحف الإسلامية المنددة بالاحتلال والرافضة له والكاشفة عن أخطائه وأخطاره، وحثت القراء على ضرورة مواجهة كل صور الهيمنة البريطانية والاستلاب الحضاري الذي قصد به المصريون من قبل المحتلين وكذلك في بعض الدول العربية كالجزائر وتونس وغيرها.[(12)]

ومن خلال الوقوف على أهمية هذا الدور للصحافة الإسلامية نستطيع أن نستكشف مدى حجم المعاناة والعوائق والمشكلات والمضايقات التي كانت تواجه الصحف الإسلامية التي كانت تصدر في ظل هذه الأجواء، حيث الصوت الإسلامي والكلمة الدينية هي دائما الأقوى والأكثر تأثيرا على المحتلين والطغاة والمستبدين. ومما يعطي أهمية لهذه الدراسات أيضا، ندرة الدراسات والبحوث العلمية التي تناولت الدوافع والأهداف التي تقف وراء إصدار الصحف والعوامل والأسباب المؤثرة في ظهورها بشكل عام والصحف الإسلامية بشكل خاص. ويمكن لهذه الدراسات أن تحقق مجموعة من الأهداف العلمية يمكن الوصول إليها وتتمثل هذه الأهداف فيما يلي:

1. الوقوف على الظروف التاريخية التي نشأت فيها الصحافة الإسلامية.
2. إبراز المفهوم العلمي لماهية الصحافة الإسلامية.
3. الكشف عن الدوافع والمبررات التي أدت إلى ظهور الصحف الإسلامية.
4. تجلية الدور البنائي والحضاري والموقف الدفاعي للصحافة الإسلامية في الحياة العربية والإسلامية.
5. الكشف عن الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى توقف الصحف الإسلامية عن الصدور وتعوق مسيرتها.

هذه لمحة سريعة عن إرهاصات بل بدايات نشأة الصحافة الإسلامية وعن أهمية التصدي من قبل الدارسين والباحثين لدراسة هذه الصحف لتوثيقها وإبراز الدور الحضاري التي قامت به تلك الصحف على مر عقود من الزمن.

الصحافة الإسلامية اليوم.. إلى أين؟

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: أين تقف الصحافة الإسلامية اليوم من هذا المفهوم الذي اخترناه لماهية وحقيقة الصحافة الإسلامية؟ وكي نجيب عن السؤال فلا بد أن نجيب أولا عن سؤال آخر، وهو: هل الصحافة الإسلامية، صحافة متخصصة أم صحافة عامة؟؟

والحقيقة أن الصحافة الإسلامية، وفقا للتعريف الذي اخترناه، هي صحافة عامة، بكل ما تحمل كلمة «عامة» من معنى، وهذا لا يعني أن هناك صحفا إسلامية متخصصة في جانب من الجوانب أو في شأن من الشؤون، وسواء أكانت الصحافة الإسلامية، عامة أم متخصصة، فإن الأصل فيها أنها تنطلق من منطلقات

الإسلام، وتجعل العقيدة الإسلامية هي مرجعيتها العليا ولا تأتي بشيء يخالف منهج الإسلام أو يناقض نظمه وتشريعاته.(13)

ولكن المتتبع لتاريخ الصحافة الإسلامية منذ نشأتها إلى اليوم يلحظ عليها أنها لم تصل في معالجتها وتناولها للقضايا أو الموضوعات الحد الذي به يمكن أن نقول عنها: بأنها صحافة إسلامية عامة، هذا باستثناء «بعض» الصحف التي أصدرتها حركة الإخوان المسلمين في مصر في الأربعينيات من القرن العشرين مثل صحيفة «الإخوان المسلمون» اليومية، التي صدرت في يوم الأحد 3 جمادى الثانية 1365هـ الموافق 5 مايو1946م وقد توقفت في يوم الجمعة 2 صفر 1368هـ الموافق 3 ديسمبر 1948م.

أما الصحف الإسلامية التي صدرت غير ذلك فكلها تقريبا يمكن أن تكون صحفا إسلامية متخصصة بدرجات متفاوتة، وهذا الموقف يلقي بالتبعة على المسلمين حكومات وهيئات وشعوبا أن يعنوا بالصحافة الإسلامية العامة بجانب هذا اللون الشائع من الصحف الإسلامية المتخصصة.

وعندما نقوم برصد الصحافة الإسلامية اليوم – كي نجيب عن السؤال الذي طرحناه – فيمكننا أن نحدد بعضا من الملامح والسمات التي تكتنفها التي تشيع في أوساطها، وأول شيء يمكن أن نلحظه ونسجله من خلال التجربة والممارسة هو افتقار هذه الصحف إلى العناصر الصحفية المؤهلة والكوادر الفنية ذات الكفاءة العالية والمدربة، ويصحب هذا ويلازمه، بل يسبقه، تواضع الخبرة الإدارية المصاحبة لعملية إصدار الصحيفة، إذ يدير كثيرا من الصحف الإسلامية من ليست لديهم دراية عن إدارة مشروع إعلامي وكيان صحفي بالقدر الكافي المطلوب لإنجاح هذا المشروع والدفع به إلى بر الأمان، الأمر الذي انعكس بالسلب على طبيعة الدور الذي يمكن أن تؤديه هذه الصحف في تشكيل الوعي والتأثير في العقول والقلوب وتصحيح المفاهيم والتأخر عن مواكبة التطور، لأن ذلك كله لا يتم التوصل إليه إلا من خلال استخدام الأشكال الفنية والأساليب التحريرية بحرفية جادة وخبرة عالية وإدارة واعية تعطي الفرصة للعاملين في الصحيفة أن يتحركوا وأن يبتكروا ويطوروا من الأداء في الشكل والمضمون طالما أن ذلك في إطار لا يتناقض مع النظرية الإسلامية.(14)

وفي مقابل ذلك نقدم بعض التصورات والاقتراحات التي نأمل وننشد أن تكون عليها صحافتنا الإسلامية مستقبلا، بل في الغد القريب بإذن الله تعالى، وهذه الاقتراحات يمكن أن نجملها في العناصر التالية:

- الدقة في النقل والابتعاد عن صور الخفة والتعجل والتساهل في نقل الأخبار والمعلومات من مصادرها.
- الموضوعية في طرح القضايا والموضوعات المختلفة من غير تحيز ولا تشنج ولا إسفاف.
- التشويق في عرض الأعمال الصحفية، وتجنب الأساليب العقيمة والمعقدة والمنفرة.
- التوازن والملائمة بين الشكل والمضمون فلا ينبغي أن يطغى الاهتمام بالمضمون على حساب الشكل أو الاهتمام بالشكل على حساب المضمون، بل المطلوب أن يكون هناك تناغم وانسجام بين العملية التحريرية والإخراجية الصحفية.
- الاهتمام الكبير بالمعلومات عن طريق عملية الأرشفة الصحفية، فينبغي أن يكون لكل صحيفة أرشيفها الخاص على مستوى الصور والموضوعات والشخصيات حتى يتسنى للمحرر أن يجد ما يحتاجه من معلومات في وقت الضرورة.
- تبني إستراتيجية للعمل داخل الصحيفة، أو خطة عملية مرحلية ترسم المحاور الرئيسية والخطوط العريضة التي تتمشى مع السياسة التحريرية العامة للصحيفة، والتي ينبغي أن تكون محددة سلفا، وأن يكون المحررون في الصحيفة على دراية بها، هذا بجانب الاهتمام الطبيعي بمجريات الأحداث والمستجد من الأخبار والمستحدث من القضايا والموضوعات.
- الاعتماد الأساسي في تحرير الصحف الإسلامية وإخراجها على الأفراد المؤهلين علميا، وذوي الخبرة الكافية ممن يؤمنون بالفكرة الإسلامية ويعملون على إحيائها.
- ترك الاهتمام بثقافة »الكم» والعناية بثقافة «الكيف»، والاهتمام بالأخبار والصور والتقارير والتحقيقات الصحفية، مع التقليل ما أمكن من المقالات التقليدية.
- إعطاء الجانب الإداري أهمية كبرى، بحيث لا يدير العمل الصحفي إلا أهل الكفاية والأمانة.
- الامتلاك والإفادة من التقنيات المعاصرة في مجال الإعلام مع إتقان المحررين والمسئولين لإحدى اللغات الأجنبية على الأقل.[15]

الصحافة الاقتصادية الإسلامية

إذا كانت الصحافة الإسلامية قد نشأت منذ زمن طويل نسبيا، فإن الصحافة الاقتصادية الإسلامية قد نشأت منذ قرابة أربعين سنة فقط، وكانت البدايات خجولة جدا إلى حد المقالة القصيرة والرؤية المحدودة والدراسة المقارنة، ولم تكن خطوط الصحافة الاقتصادية الإسلامية في تلك الفترة واضحة المعالم، محدّدة الهوية في الوقت الذي كانت الصحافة الاقتصادية الغربية، وكذا العربية تشهد ازدهارا وتألقا وكان لها كتــّاب ومحررون وصحفيون مستقلون، اكتسبوا من خلال عملهم التجربة والخبرة والدراية والحنكة الصحفية.(16)

أما اليوم فإننا نرى نهضة قوية ونسمع صوتا واضحا، ونقرأ صحافة اقتصادية إسلامية ونشهد معالم هذه النهضة واضحة في كثير من الدول، ففي الكويت هناك مجلة "النور الاقتصادية" التي تصدر عن بيت التمويل الكويتي، وفي مصر هناك مجلة "البنوك الإسلامية"، التي كانت تصدر عن الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وفي الإمارات العربية المتحدة هناك مجلة "الاقتصاد الإسلامي" التي تصدر عن بنك دبي الإسلامي، وفي المملكة العربية السعودية هناك مجلة "أبحاث الاقتصاد الإسلامي" الصادرة عن المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، ومجلة "دراسات اقتصادية إسلامية" الصادرة عن المعهد الإسلامي للبحوث الاقتصادية والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة، وفي المغرب هناك صحيفة "اقتصادنا" الصادرة عن الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي، وفي بريطانيا هناك "المجلة الدولية للاقتصاد الإسلامي" الصادرة عن الجمعية الدولية للاقتصاد الإسلامي.

وإضافة إلى ما سبق هناك الصحف والمجلات المتخصصة في الشؤون الإسلامية، والتي تهتم بأخبار العالم الإسلامي، وتعالج المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، معالجة إسلامية مستنيرة، والتي تفرد في صفحاتها أبوابا خاصة بالفتاوى والأحكام الفقهية والرد على أسئلة واستفسارات القراء فيما يتعلق بأمور دينهم وقضاياهم الاقتصادية، وعلى سبيل المثال هناك مجلة الإصلاح (الإصلاح الاقتصادي) ومجلة المجتمع (المجتمع الاقتصادي) ومجلة الدعوة (الملحق الاقتصادي)، ومجلة الوعي الإسلامي ومجلة الخيرية ومجلة منار الإسلام ومجلة المستقبل الإسلامي، ويمكن أن نضيف أيضا المجلات الاقتصادية المتخصصة الأخرى من مثل :مجلة تجارة الرياض، ومجلة الأسواق ومجلة الأموال، ومجلة الأهرام الاقتصادي ومجلة اقتصاديات السوق العربي، ومجلة البيئة وصحيفة المؤشر وصحيفة الاقتصادية ومجلة الرابطة وجريدة العالم

الإسلامي التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي. حيث تفرد هذه المجلات والصحف مجالا رحبا للمساهمات الاقتصادية الإسلامية، وتـُجري بعض الحوارات واللقاءات والتحقيقات حول القضايا الاقتصادية الإسلامية الحساسة.(17)

وهناك جمعيات اقتصادية إسلامية تسهم بشكل بارز في مسيرة الصحافة الاقتصادية الإسلامية من حيث عقد الاجتماعات السنوية وإقامة المؤتمرات والندوات والمنتديات وحلقات النقاش الفكرية الحوارية الاقتصادية، وإصدار مجموعة من المجلات والصحف والنشرات والمطبوعات والكتب والسلاسل الاقتصادية من مثل: الجمعية الدولية للاقتصاد الإسلامي، والجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي وجمعية الاقتصاد الإسلامي، ونادي الاقتصاد الإسلامي، والجمعية العربية للبحوث الاقتصادية وجمعية الاقتصاد السعودية.

كما أن وجود أقسام علمية أكاديمية تحمل لواء الاقتصاد الإسلامي أسهم في نهضة الصحافة الاقتصادية الإسلامية، من خلال أقلام أكاديمية متخصصة تشارك بكتابة الزوايا والأركان والرؤى الاقتصادية، وتشخِّص الواقع الاقتصادي، وتطرح بعض وسائل المواجهة والعلاج للمشكلات الاقتصادية الراهنة، فهناك على سبيل المثال: قسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود، وقسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى، وشعبة الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، وشعبة الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز.

ويسهم إلى جانب ما سبق في مسيرة الصحافة الاقتصادية الإسلامية أيضاً ما يلي:(18)

1- مراكز البحوث الاقتصادية مثل: وحدة بحوث الاقتصاد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووحدة بحوث الاقتصاد الإسلامي بالمعهد العالي للفكر الإسلامي، ومركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، وشعبة الدراسات والأبحاث بمجموعة دلة البركة، والمعهد الإسلامي للبحوث الاقتصادية والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية.

2- المصارف والبنوك الإسلامية، وما تضمه من هيئات رقابة شرعية، وما تصدره من مطبوعات ونشرات ومطويات، وما تقيمه من ندوات ومؤتمرات، وما تحويه من إدارات متخصصة في شؤون الفتوى والتدريب ودراسة القضايا المصرفية الإسلامية ومستجدات العصر، مثل: بيت التمويل الكويتي، بنك دبي الإسلامي، البنك الإسلامي للتنمية، شركة الراجحي المصرفية للمعاملات الإسلامية، مصرف فيصل الإسلامي، دار المال الإسلامية والاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية في السعودية.

3- الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع ومجهوداتها في التنسيق مع غرف التجارة والصناعة في الدول الإسلامية وكذا بين رجال الأعمال المسلمين، وإصداراتها ومطبوعاتها ونشراتها، وقد أسهمت بشكل طيب في ميدان الصحافة الاقتصادية الإسلامية.

كل ذلك وغيره، يُعد معالم هداية وإرشادات بارزة ذات دلالة على وجود صحافة اقتصادية إسلامية جيدة، ومنافسة وفعالة إيجابية لها روادها المتميزون، وإسهاماتها البارزة ومشاركاتها الفعالة وأهميتها الواضحة، وهمومها الخاصة وتحدياتها وآثارها ومستقبلها المشرق.

خصائص الصحافة الاقتصادية الإسلامية:

نعرض فيما يلي بعضا من خصائص الصحافة الاقتصادية الإسلامية، وسماتها المحددة لهويتها المميزة لمنهجها، المبينة لملامحها، الموضحة لمعالمها الأساسية، وذلك بشيء من الاختصار والإجمال، على النحو التالي:

1- رفع لواء "الإسلامية" والدعوة إليه.

2- المناداة بشعار "الشرعية" فيما يطرح.

3- الهدوء والسكينة فيما يناقش.

4- الروية والتحري فيما يعرض ويُنشر.

5- التوثق والتبين فيما يكتب.

6- المصداقية، والواقعية، والتشويق الهادف، والإثارة المعتدلة من أهم سمات الصحافة الاقتصادية الإسلامية وأهدافها.

7- تغطية أخبار العالم الإسلامي الاقتصادية.

8- متابعة الأحداث الاقتصادية المهمة والمختلفة.

9- الاعتدال عند عرض مجهودات ونتاج الباحثين.

10- كشف الأباطيل والشبهات والمغالطات والرد عليها، وتفنيد افتراءاتها وأكاذيبها، وتقديم البديل المناسب.[19]

معوقات الصحافة الاقتصادية الإسلامية:

تُجابهُ الصحافة الاقتصادية الإسلامية مجموعة من العقبات والعوائق، ويعترضها بعض الصعوبات والمشكلات، وعلى سبيل المثال:

1. غياب التنسيق المشترك فيما بين المجلات الاقتصادية المتخصصة.
2. عدم تبادل الأخبار والأحداث الاقتصادية بين المجلات المختلفة.
3. افتقاد مركز معلومات موحد للمجهودات والنشاطات المشتركة.
4. البعد الجغرافي صَعَّبَ من عملية التبادل والتعاون.
5. قصور الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وربما محدودية نطاق أعماله ومشروعاته.
6. ضعف المنافسة فيما بين الصحافة الاقتصادية.
7. حاجة الصحافة الاقتصادية الإسلامية إلى مصداقية أكثر.
8. افتقاد عنصر التشويق في الصحافة الاقتصادية الإسلامية.
9. غياب عنصر الإثارة الصحفية المنضبطة في الصحافة الاقتصادية الإسلامية.[20]

مستقبل الصحافة الاقتصادية الإسلامية: أتحدث هنا عن استشرافٍ مستقبلي للصحافة الاقتصادية الإسلامية من خلال محاور ثلاثة: محور الخبر الصحفي، محور الحدث الاقتصاد، محور الانتشار الإعلامي .

بالنسبة لمحور الخبر الصحفي، فإننا نتطلع مستقبلا إلى طرح صحفي اقتصادي متميز، يستفيد من خبرات الآخرين ونتاجاتهم، وينتهج أسلوبا إسلاميا شريفا سليما من الانتقادات والملاحظات، يتقبل النقد والتقويم، ويقدم البدائل المناسبة، ويفتح الباب للنقاش الهادئ، والحوار الهادف، ويقدم للصحافة الاقتصادية محليا وعالميا أنموذجا مثاليا واقعيا رائدا.

وبالنسبة لمحور الحدث الاقتصادي فنأمل أن توليه الصحافة الإسلامية عناية مناسبة واهتماما خاصا، من حيث جودة التغطية، وحسن التحليل والتوصيف، ومناقشة الأبعاد المختلفة لكل حدث اقتصادي، واستشراف الأسباب والآثار والمشكلات والعقبات والصعوبات، ومِنْ ثمَّ تقديم الحلول المتناسبة مع كل حدث، وصولا إلى رؤية شمولية تكاملية مستهدفة. أما محور الانتشار الإعلامي،

فإنه يتوقف على المحورين السابقين، فكلما كان الخبر الصحفي الاقتصادي الإسلامي قويا ورائدا، كان الحدث الاقتصادي خاضعاً لمعايير تحليلية علمية، من أجل توافق حقيقي مع مستجدات العصر وقضايا الساعة.[21]

قد يكون هناك الكثير من يشكك في مهنية الصحافة الإسلامية بوصفها صحافة كونها تعتمد على الرأي، فتهتم بالتعليق على الأحداث وتحليلها، وليست صحافة خبر، وهذا الأخير هو العمود الفقري في الإعلام، والمطلوب رقم واحد لدى جمهور المستقبلين، والحقيقة أن الصحافة الإسلامية والاقتصادية بشكل خاص قد عانت كثيرا من التحديات والعراقيل القانونية والمادية ونقص الإطارات، وذلك طبيعي في المرحلة الأولى من كل تجربة إنسانية ناشئة، كما أولت الإصلاح والدعوة أهمية بالغة على حساب الاهتمام بالخبر لما تفرضه الضرورة الدينية، ولكن في الآونة الأخيرة ظهرت عدة صحف في بعض الدول العربية والإسلامية تنافس الصّحف الأخرى وحتى المدعومة حكوميّا تعتمد الخبر مادة صحفية أساسية، وتصدر بصفة منتظمة يومية، وتعبر عن دخول الصّحافة الإسلامية والاقتصادية منها مرحلة جديدة تُسهم فيها في صناعة الرأي العام الإسلامي والاقتصادي وترشيده بشكل أساسي.

الهوامش

1–نصير بوعلي، الإعلام والبعد الحضاري (دراسات في الإعلام والقيم)، دار الفجر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2007، ص 6.
2- مصطفي الدميري، الصحافة في ضوء الإسلام، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، دط، 1408هـ - 1987م، ص33.
3- محمد منصور محمود هيبة، الصحافة الإسلامية في مصر بين عبد الناصر والسادات 1952-1981 ، دار الوفاء،
4- المرجع السابق، ص 38 – 39.
5- المرجع السابق، ص 45 .
6- عبد القادر طاش، الإعلام الإسلامي، مجلة الداعي، دار العلوم، العدد 11، الرياض، نوفمبر 2009 م، ص23.
7- عماد أديب، مرتكزات العمل في الصحافة الإسلامية، مجلة ديننا، د ع، الكويت، أبريل 1983، ص 10.
8- المرجع السابق، ص10.
9-شعيب الغباشي، الدور الحضاري للصحافة الإسلامية، جريدة أخبار الخليج، العدد 12298، البحرين، ديسمبر 2012، ص 18.
10- المرجع السابق، ص18.
11- المرجع السابق، ص18.
12- المرجع السابق، ص18.
13- شعيب الغباشي، الصحافة الإسلامية إلى أين؟ ،جريدة أخبار الخليج، العدد 12705، البحرين، جانفي 2013، ص 6.
14- المرجع السابق، ص6.
15- المرجع السابق، ص6.
16- أحمد الحارثي، الصحافة الاقتصادية الإسلامية، مجلة دين ودنيا، العدد 163، بيروت، جانفي 1995، ص 19.
17- المرجع السابق، ص19.
18- المرجع السابق، ص20.
19- المرجع السابق، ص22.
20- المرجع السابق، ص24.
21- المرجع السابق، ص26.